التنظيم الكهنوتي في الديانة المسيحية

م.د. وليد خالد حسن
جامعة سامراء/ كلية الآداب

الملخص:

تعد دراسة الأديان من الدراسات التاريخية المهمة؛ لما لها من اثر جلي في تعريف القارئ على أحوال تلك الديانات، لقد تضمن البحث دراسة الديانة المسيحية وتنظيماتها الإدارية والدينية من بداية التبشير المسيحي في زمن سيدنا المسيح ومن ثم إلى من خلفه على تلك الرسالة من الحواريين وهم: القديس بولس وبطرس، وكيفية انتشار تلك الديانة في اوربا بعد الاعتراف بها عام 313، في مرسوم ميلان واصبحت من الديانات الرسمية الموجودة انذاك إلى جانب الديانة اليهودية والديانات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: المسيحية، الحواريون، الإمبراطورية، بطرس، بولس، الكنيسة.

Priestly Organization in Christianity

Dr. Waleed Khalid Hasan
University of Samarra/ College of Arts/ Department of History

Abstract:

The study of religions is considered one of the important historical studies because of its clear impact in introducing the reader to the conditions of these religions. The research included a study of the Christian religion and its administrative and religious organizations from the beginning of Christian preaching in the time of our Lord Jesus Christ and then to those who succeeded him in that message from the apostles، namely Saints Paul and Peter، and how this religion spread in Europe after its recognition in 313، in the Edict of Milan، and it became one of the official religions existing at that time، alongside the Jewish religion and other religions.

Keywords: Christianity, the apostles, the empire, Peter, Jonah, the church.

المقدمة:

إن التنظيم الكهنوتي هو مصطلح يشير إلى الهيكل الإداري والديني للكنيسة المسيحية الذي يدير شؤونها، وغالبا ما يستعمل ذلك التعبير في سياق الديانات التي تملك نظاما هرميا لرجال الدين مثل: الديانة المسيحية، التي يكون على رأسها البابا ثم يليه الكرادلة والأساقفة والكهنة والشمامسة، والتنظيم الكهنوتي في العصور الوسطى كان يمتلك سلطة روحية وزمنية (دنيوية) في آن واحد، وكان يتحكم في التعليم، والتشريع، وحتى تنصيب الملوك أحيانا، وإصدار الأحكام الدينية مثل: المراسيم البابوية وتنظيم الطقوس والشعائر، وكانت الكنيسة تؤدي دورا مهما في التأثير على المجتمعات بالخطب، والتعليم، والممارسات اليومية.

لقد قسم البحث إلى ثلاثة مباحث:

جاء عنوان **المبحث الأول** المسيحية وبداياتها، وتضمن الحديث عن الحواريين، وتم التطرق إلى ابرزهم وهم: بطرس وبولس، وتناول انتشار المسيحية في اوربا واسباب ذلك الانتشار الذي جعل منها الديانة الرئيسة في الإمبراطورية الرومانية.

وركز **المبحث الثاني** على التنظيم الكهنوتي والمناصب الإدارية المسيحية وعلى المناصب الكهنوتية، وتطرق كذلك إلى اسرار الكنيسة السبعة وجرى إيضاح اهم تلك الأسرار وهي: التعميد والعشاء الرباني، أما **المبحث الثالث** فجاء بعنوان منصب البابا، إذ تناول نشأة المنصب وكيف أن البابا كان يرأس الجهاز الكنيسي وتطرق إلى اهم العوامل التي ساعدت على بروز زعامة البابوية، وعن كيفية انتخاب البابا ومتى ظهرت المطالب التي تنادي بإجراء الانتخابات وكيف تتم تلك الانتخابات.

إن أي بحث تاريخي لا يخلو من الصعاب منها: صعوبة الحصول على المصادر، وكيفية كتابة هيكلية البحث، لكن بفضل الله استطعنا التغلب عليها واتممنا البحث المتواضع بعد الاستعانة بمصادر مهمة اوجزنا أهمها: جفري براون تاريخ اوربا الحديث، وهو من الكتب المهمة، وكذلك كتاب قصة الحضارة لديورات، واسد رستم عنوانه الروم حضارتهم وسياستهم وديانتهم وصلاتهم بالعرب، وكتاب لسعيد عبد الفتاح عاشور تاريخ اوربا في العصور الوسطى، وكتابان مهمان لسعيد عمران حضارة اوربا في العصور الوسطى ومعالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، وكتاب مهم عنوانه معالم تاريخ الانسانية لمؤلفه هـ –ج– ولز، واخيرا وليس اخرا نرجو أن ينال بحثنا هذا رضى وقبول قارئيه.

ومن الله التوفيق

المبحث الأول: المسيحية وبداياتها

اولا: الحواريون:

ظهرت المسيحية في القرن الاول للميلاد في فلسطين العربية، إذ ولد السيد المسيح (عليه السلام)، في عصر الامبراطور اوغسطس 27 ق. م 140م(براون، 2006، ص65؛ فرح، 1999-2000، ص 153)، وبعد موت المسيح قام تلامذته الحواريون بإتمام الرسالة التي عهد بها اليهم حينما قال: ((اذهبوا الان واتخذوا كل الامم معمدين اياهم باسم الاب والابن وروح القدس)). ونشر تلاميذه المذهب الجديد، وكان اول الحواريين هو بطرس الذي كان له مكانة مهمة في نفس يسوع (حاطوم، 1982، ص 63).

حاول هؤلاء، ومنهم القديس بطرس، إعادة بناء الحلم واسترجاع الآمال التي غرسها في قلوب اساتيذهم، إذ كانوا يهودا بسطاء ليس لهم شأن في قومهم ولا يمتازون بثقافة عالية وافاقهم الفكرية ليست واسعة وكان طموحهم هو دفع الخراف المائلة من نبي اسرائيل إلى طريق النجاة(جينز، د.ت، ص 55)، وكان الرسل ومنهم بطرس مؤمنين أن المسيح سيعود بعد قليل ليقيم ملكوت السموات على الارض، قال بطرس في رسالته الأولى: ((نهاية كل شيء قد اقتربت فتعلقوا وأصحوا للصلوات))(ديوارت، د.ت، ص 242).

وظهر معلم آخر عظيم أيده كثير من الثقات المصريين المؤسس الحقيقي للمسيحية هو شاءول الطرسوسي او بولس، ويظهر شاءول انه اسم يهودي، وأن بولس هو اضيق كثيرا مما يبدو أن قد اوتي يسوع، والراجح أنه كان يهودي المولد على الرغم من أن عدد من الكتاب اليهود ينكرون ذلك(وليز، 1994، ص 705)، وكان بولس متمرسا في صناعة الخيام واشتهرت طرطوس بصناعة قماش وبر الماعز، وتعلم بوليس تعليما نظاميا في جامعتها وتلقى بعض العلوم الاغريقية القديمة، وقد انقلب مسيحيا بسبب رؤية مذهلة رأى فيها عيسى بطريقه إلى دمشق وهي المدينة التي تلتقي فيها جميع طرق الصحراء وقد قام برحلات تبشيرية ثلاث إلى المناطق الآهلة بالسكان في اسيا الصغرى و بلاد اليونان، ونشر تعاليم المسيح في الكنائس اليهودية وفي السوق وحول كثير إلى المسيحية وتعرض بسبب ذلك إلى الحبس والجلد(شيني، د.ت، ص 83-84)، وتعرض المسيحيون الاوائل، ومنهم بولس، للاضطهاد من قبل السلطة الدينية ادى بهم الامر للهروب إلى القدس واللجوء إلى عدد من المدن الشرقية وبقوا عدة قرون لا هم يهود ولا هم نصارى، ولولا تلك القطيعة لبقي الباب موصودا امام الديانة الجديدة، وبفضل بولس ونشاطه انفتح ذلك الباب وحمل تلك العقيدة إلى العالم (اوبرايه، 1986، ص 496).

وتأثر الحواريون، ومنهم بولس، بالحضارة الصليبية في حين أن سيدهم لم يتأثر بها، إذ حاول عدد منهم أن تظل المسيحية في نطاق الاطار اليهودي بكل دقة، بيد أن القديس بولس شجع

على تطور الكنيسة وفق رؤيته الشخصية في الاخوة العالمية وجعلها متحررة في التمسك الشديد بالتعاليم اليهودية والتمسك بعملية الختان التي كانت قيدا يعوق تحول غير اليهودي إلى المسيحية وجعل عمله الاهتداء المسيحي مفتوحا لكل رجل في كل مكان طالما آمن أن عيسى هو إله ومخلص(هليستر، 1986، ص 26-27).

ولا نعلم عدد المسيحيين في تلك الحقبة الاولى من تاريخهم، فهم مئة وعشرون في الفصل الأول من سفر اعمال الرسل، وخمسمئة في الفصل الخامس عشر من رسالة بولس الاول إلى اهل كورنثوس، وثلاثة آلاف بعد عظة بطرس الأول، ثم خمسة آلاف في الفصل الرابع من سفر الاعمال وذلك بين سنتي(25 و37 بعد الميلاد)(رستم، 1955، ص 24-25).

ولم يستطع الحواريون الاثنا عشر والاتباع المباشرون لعيسى من القيام بنشاط يذكر في القدس، وكان موقفهم موقف اساتيذهم في ما مضى، وكان الاخطار تهددهم، وكان تبشيرهم يصب في (عودة السيد المسيح) بدل من حلول مملكة الله، وكان من الصعب أن نبين -على وجه التحديد- ما قام به احباء عيسى الاوائل، قال بولس عن احدهم وهو يعقوب الأصغر: إنه كان يعيش مع بطرس مجموعة من اتباع عيسى بالقدس وغالبا أن هؤلاء الاتباع عاشوا عشية تمتاز بالحيوية اثناء اقامتهم في المدينة المقدمة ولم يبتعدوا عنها كثيرا (جينز، د.ت، ص 65-66).

ويقضي الغموض شطرا من تاريخ المسيحية في القرنين الاول والثاني في طقوسهم وطرائقهم، ولم تكن لهم عقائد مستقرة وكان هناك خلاف محلي كبير في معتقداتهم ونظمهم، ومهما كان هناك اختلاف لكن كان هناك شيء يحملوا فيه الكثير من روح يسوع ومع أنهم حينها صلوا اثاروا ضدهم عداء مريرا ودعاية مضادة قوية فإن التهم نفسها الموجهة اليهم تشهد عليه من خير وصلاح عام(ولز، 1994، ص708).

ومارس المسيحيون طقوسا ثلاثة في المعمودية ووضع الايدي والشركة فما كان على مستجد يقبل الدعوة أن يتعمد باسم يسوع المسيح ووضع الايدي ويمارس الشركة وكسر الخنيد، وجاء في سفر اعمال الرسل: ((كان الجمهور على قلب رجل واحد، ونفس واحد ولم يكن لأحد أن يقول هذا مالي بل ان كل شيء مشتركا ولم يكن احد محتاجا لأن اصحاب الحقول والبيوت كانوا يبيعونها ويأتون بالأموال عند ارجل الرسل وتوزع على كل شخص حسب احتياجه))(رستم، 1955، ص 25).

وألقي القبض على بولص في بيت المقدس من قبل الرومان ونقل إلى روما بسفينة بخارية، واستطاع بولص أن ينقذ حراسه وزملاءه والركاب حينما تحطمت السفينة في مالطا، وبقي بولص في روما بضع سنوات، وتقول الاساطير: إن الامبراطور نيرون ضرب عنقه في اثناء الاضطهاد

المسيحي، وقد وجد على العاديات في المدائن المغربة في اسيا الصغرى شواهد واضرحة عليها نقوش قصيرة وحزينة، واطلقت جماعة مسيحية على نفسها (جمعيات الدقن)، وقد ظهرت تلك الجماعات عندما أبت أن تحرق البخور عند ضريح الإمبراطورر(شيني، د.ت، ص 85).

وتألفت طوائف مسيحية في فلسطين وفي مدن الشرق مثل: انطاكية، والاسكندرية، وقرطاجة، وكذلك في روما في القرون الاولى للمسيحية، وقد تأثرت تلك المدن بالدين الجديد اكثر من تأثر الآلاف، وكان اول من ادان بالدين الجديد هم الفقراء والمحرومين والعبيد ثم انتقل الايمان للطبقات العليا ثم تحول إلى البلاط الامبراطوري(حاطوم، 1982، ص 64).

ثانيا: انتشار المسيحية في اوربا:

المعلومات عن تاريخ الكنيسة في مراحلها الأولى وبداية انتشارها في الامبراطورية الرومانية ضئيلة، وكان الفضل الاول بما موجود من معلومات هو للقديس بولس في تنظيم المجتمعات المسيحية، ووضع قواعد اللاهوت وما يرتبط به من فلسفة المسيحية المتعلقة والاخرويات مثل: الموت والبعث والحساب والخلود، وأخذت المسيحية تنتشر في الولايات الرومانية المطلة على البحر المتوسط وتضم بين جوانبها جالية مسيحية، وكونوا جالية في روما نفسها في وقت مبكر يرجع إلى عام 64 ذلك ما عرضهم للاضطهاد من قبل الامبراطور نيرون(عاشور، 1976، ص 31).

وهنا لابد أن نشير إلى أن الامور التي ادت إلى انتشار المسيحية هو ظهور عقيدة عبادة الأباطرة؛ لأنه لم يكن هناك ديانة تنتشل الناس من الواقع الذي يعيشونه، وكانت شعائر العبادة للإمبراطور تقوم بعد وفاه الامبراطور بوصفه إلها، وكانت العقلية الفلسفية في العصر الصليبي، أن عدد من الآلهة كانوا في الواقع آدميين غير مخلدين؛ لأنهم قاموا بأعمال فذة واصلاحات جليلة مثل: اغطس او تراجان، او سيبتمبوس سيفيروس إذ إنهم نشروا ألوية السلام وانقذوا البلاد من حروب أهلية(تشارلزورث، 1950، ص 164-165).

والجدير بالذكر أن الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث والرابع اصابها التفكك والانحلال في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وكانت تسير في طريق الافول إلا من الناحية العقائدية والحياة الروحية، إذ ازدهرت الحياة الدينية بأرجائها وكانت تلك الازمات السياسية والاقتصادية تجعل الناس يتجهون إلى القوى الروحية فكانت المسيحية هي المنقذ وهي الديانة التي انتشرت سريعا إلى جانب العبادات الأخرى(الحويري، 1995، ص 49).

وانتشرت المسيحية في الامبراطورية الرومانية إبان القرنين اللذين أعقبا ميلاد المسيح، واخذت توثق الروابط بين جمهور من المتنصرين لا يبرح يزداد في كل آن، وكان هناك اختلاف في

موقف الاباطرة من تلك الديانة ومن عاداتها ومنهم من تفاعل معها ومنهم من عاداها وانتصر الامر في عام 303، وما اعقبه من اعوام، إذ انزل بهم الامبراطور دقلديانوس اضطهادا عظيما وصودرت املاك الكنيسة وكتبها المقدسة ودمرت واهدرت دماء المسيحيين وعدوا أنهم خارجون عن القانون واعدم كثير منهم، وعلى الرغم من ذلك فإن دقلديانوس فشل في القضاء على الديانة المسيحية او المجتمع المسيحي(وليز، 1985، ص 180).

وكان هناك اباطرة آخرون قد اضطهدوا المسيحية، وكانت دوافع هؤلاء جميعا هي رفض المسيحية عبادة الامبراطور ورفضهم الانخراط في صفوف الجيش الامبراطوري وتأكيدهم على أنه ليس لأحد سلطة عليه سوى سلطة الكتاب المقدس وطاعة الله، لذا وجد الاباطرة في وجودهم خطرا على مكانتهم ووجودهم كأباطرة(براون، 2006، ص 56).

إن ظهور الديانة المسيحية بتعاليم اعطت الأمل للمواطن الروماني وسط حياة البوس والشقاء التي غلفت حياتهم، وكان الايمان هو ابرز قوة جعلتها تتفوق على الديانات الأخرى، فضلا عن أن المسيحية جاءت للجميع نساء ورجالا ولم تفرق بين احد، ولا شك أن قصة المسيح الرائعة وتحمله من الآلام والعذاب لا يمكن مقارنتها بما جاءت به المذاهب الفلسفية الاغريقية التي لم ترض افكارها الصفوة من المثقفين من الطبقة النبيلة الارستقراطية في وقت لم تشبع فيه رغبات العامة الروحية(الحويري، 1995، ص 55).

وإذا ما اردنا أن نذكر اهم العوامل التي ساعدت على انتشار المسيحية في اوربا فنوجزها بما يأتي:

1- قوة إيمان المسيحيين الاوائل وجهودهم الفائقة في نشر المسيحية بما في ذلك استشهادهم وبرحابة صدر في سبيل انتصار عقيدتهم.

2- كانت المسيحية دينا سماويا عاما لجميع البشر ولجميع الطبقات الاجتماعية دون تحيز في حين أن اليهودية كانت خاصة لشعب (مختار).

3 - حموا المفاهيم الاخلاقية في المسيحية.

4- قصة حياة المسيح وتضحيته بنفسه في سبيل انقاذ البشرية كان لها جاذبية مميزة وفاعلة في نفوس مختلف الشعوب.

5- الفراغ الروحي الذي كانت تعانيه مجتمعات الامبراطورية الرومانية على الرغم من انتشار عقائد دينية متنوعة منها: عبادة الامبراطور وعبادة مشرا إله النور الفارسي الاصل وعبادات اخرى.

6- اتساع الإمبراطورية وخضوعها لسلطة مركزية في روما ساعد على انتقال المبشرين المسيحيين بأمان بين مدنها وولاياتها.

7- ساعدت اللغة الآرامية (السريانية) في الوطن العربي واللغة اليونانية في القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية واللغة اللاتينية القسم الغربي منها على انتقال التعاليم المسيحية بسهولة في مختلف ارجاء الإمبراطورية؛ لوجود مبشرين يتقنون تلك اللغات.

8- كان الناس يخافون الموت لكن موت المسيح وبعثه حيا والإيمان بعودته يوم القيامة لبعث البشرية من الموت كل ذلك بعث في نفوس المؤمنين أملا في العودة إلى الحياة وحبب اليهم الموت وجعله امرا مألوفا لديهم(فرج، 1999-2000، ص 155-156).

ومهما يكن من امر فإن المسيحية قد خرجت في نهاية الامر خروج المنتصر حينما اخذ الامبراطور قسطنطين بسياسة الامر الواقع فأصدر مرسوم ميلان عام 313، معترفا بالديانة المسيحية كإحدى الشرائع المصرح باعتناقها داخل الامبراطورية، وأن يتمتع المسيحيون بالحقوق كافة التي يتمتع بها غيرهم من اتباع الديانات الأخرى(عاشور، 1976، ص 36).

إن الاعتراف الذي حدث عام 313، واعتناق قسطنطين للمسيحية كانت خطوة في رفع مكانة المسيحية وفرضت هيمنتها على الامبراطورية كلها، وعلى الرغم من الاضطهاد الذي تعرضت له المسيحية في زمن الامبراطور جوليان (361م - 363م) إلا أنها تحولت في القرن الرابع للميلاد الديانة الرسمية للدولة والمهيمنة على الامبراطورية الرومانية، وتحولت الكنيسة بعد ذلك التاريخ إلى منظمة مهنية واصبح لها مساحات واسعة من الاراضي وازداد نفوذ أساقفتها اثناء مدة الاضطرابات التي أودت بحياة الامبراطورية الرومانية، وكانت مدينة روما منذ حقبة مبكرة تتطلع إلى تسلم الدور القيادي في العالم المسيحي مبررة طموحها بقدسيتها الخاصة إذ اسسها اثنان من اهم رموز المسيحية بطرس وبولس وتمسكت الكنيسة بفكرة أن اسقف روما هو خليفة بطرس اول الحواريين وخليفة المسيح، وعدت نفسها وريثة مكانة روما التاريخية؛ كونها حاضرة الامبراطورية الرومانية وبالتالي يجب أن تتناسب اهميتها مع اهمية روما الاقتصادية والسياسية، وعرفت كنيسة روما بوحدتها في حين كان لكنيسة الشرق النصيب الاكبر من الانشقاقات المتواصلة (بروان، 2006، ص 58-59).

المبحث الثاني: التنظيم الكهنوتي

اولا: المناصب الإدارية

تولت الكنيسة الحكم الدنيوي في القرن الرابع للميلاد، إذ كان القديس أوغسطين قد كتب بين عام254-430 ، معبرا عن تطور الفكر السياسي للكنيسة في كتاب مدينة الرب ونقل قارئه إلي امكان تحول العالم إلى (مملكة سماء)، لاهوتية منظمة وكان ينبغي للكنيسة أن تصبح حاكمة العالم التي تسود الشعوب جميعا والقوة التي ترشدها العناية الربانية وتحكم من فوق عصبة

عظيمة من الدول الارضية، وتطورت فيما اعقب ذلك من أعوام فأصبحت نظرية سياسية محددة، وقد ادعى البابا أن له السيادة العليا على ملوكهم ولم تمض بضع قرون حتى اصبح البابا من الناحية النظرية هو الكاهن الاعلى والرقيب والقاضي والملك المقدس للعالم المسيحي(وليز، 1994، ص 724-725).

وأخذت الكنيسة العادات والتقاليد التي كانت سائدة في روما قبل المسيحية مثل: البطرنبيل وشباب الكهنة الوثنيين واستعمال البخور والماء المقدس بالتطهير وإيقاد الشموع ووضع ضوء دائم لا ينطفئ امام المذبح وعبادة القدس، ولقب الحبر الأعظم الذي اطلق على كبير الأساقفة مضافا إلى اللغة اللاتينية التي اصبحت في القرن الرابع الاداة الخالدة لنيله للشعائر الكاثوليكية(ديوارت، د.ت، ص 219).

وما أن اعترفت الدولة الرومانية بالمسيحية حتى تكون نظام اجتماعي جديد ونالت الكنيسة حريتها وبدأت المسيحية شيئا فشيئا تحل محل التنظيم المدني القديم وعدت أداة للرأي العام، ولم تكن الكنيسة سببا في زوال ذلك النظام لكنها من هيأت بديلا جديدا استطاع الناس بوساطته ايجاد وسائل للتعبير عما في انفسهم، وقد وفرت الكنيسة للفرد مساعدة مادية واقتصادية، فضلا عن الحرية الروحية، إذ فسح المجال امام النشاط الاجتماعي المطلق والتعاون الحر الذي لن تسمح فيه استبدادية الدولة لذا اتجهت صوب المواهب الفكرية والكفاءات العلمية المعاصرة إلى خدمة الكنيسة واصبحت جميع مدن الامبراطورية الرومانية تعيش جنبا إلى جنب مع المواطنين القدماء، وبدأت طبقة المواطنين القدماء تفقد امتيازاتها الاجتماعية وحل محلها المسيحيون وهم ابناء المسيح واهل المسيح. إذ بدأت قوة رجال الدين ونفوذهم تزداد وصار الاسقف المسيحي اهم شخص في الحياة المدنية وممثل المجتمع كله، وصارت سلطته تكاد تكون مطلقة في اسقفيته واحاط نفسه بهالة سماوية من الوقار والهبية، وعلى الرغم من ذلك ظلت صفته الشعبية لاصقة بوظيفته؛ لأنها مستمدة من مطلق اختيار الناس، ومارس الاسقف سلطتين قضائية واصبح له مكانة قوية في اواخر عهد الامبراطورية واصبح هو القوة الوحيدة القادرة على مواجهة الادارة الإمبراطورية(كرستوفردوسن، 1967، ص 42).

ونتيجة لزيادة اعباء الاسقف اصبح له معاونين او مساعدين وهم القساوسة، إذ يساعدون الاسقف في الشؤون الروحية، والشمامسة، وقد أوكل اليهم المعاونة في الشؤون الادارية للكنيسة والشؤون الاجتماعية والقضائية للجماعة المسيحية(عمران، 1998، ص 98).

وكان الاسقف ينتخب بوساطة الشعب، وكان ينصب عضوا في السلك الكنسي من قبل الاساقفة المجاورين، وكانت شروط الانتخاب مرنة وواسعة ويطلب من الاسقف المرشح أن يقدم دليلا عن اخلاقه الطيبة وضمان ذلك أن يكون متزوجا أو أرملا ، ويكون ذا إيمان قوي، وأن

يكون من الوافدين الجدد إلى المسيحية، وكانت المؤهلات الثقافية من المسائل الثانوية، ولم يكن للسن مكانة كشرط مهم، وكانت القوة الجسمية من مستلزمات الوظيفة(جينر، د.ت، ص 139-140).

ثانيا: المناصب الكهنوتية:

بدا واضحا أن الكنيسة كانت تتمتع باستقلال ذاتي، وأن زعماءها هم من يدير شؤونها، إذ إن تطور الكنيسة كون سلطة كهنوتية قوية بوساطة (رعاة الشعب)، الاساقفة، وساعدهم على تطور سلطة الكنيسة نحو نظام اسرار المقدسة، فبالطقوس الغامضة للإسرار الربانية كان بوسع المؤمن أن يجوز او يستعد للدخول إلى رحمة الرب المنقذ؛ وللكنيسة سبعة أسرار(كانتور، 1997، ص57-58):

1 - سر الكهنوت.
2 - سر المعمودية.
3 - سر الميرون.
4 - سر الاعتراف.
5 - سر المسحة.
6 - سر الزواج.
7 - سر القربان المقدس(براون، 2006، ص 53-54).

وكان التعميد والعشاء الرباني الأخير (أفخارستيا) cucharistia ، من اهم الاسرار في كل العصور، إذ إن التعميد هو وسيلة لتطهير المؤمن وبوساطته يدخل إلى رحمة الرب. إما العشاء فيتناولون قطعة من الخبز (ترمز إلى جسد المسيح) وجرعة نبيذ (ترمز لدمه)، كان الناس في العصور الوسطى يعتقدون أن الخبز والنبيذ عن طريق معجزة يتحول إلى جسد المسيح ودمه، وكان عادة ما يقوم بالاحتفال القسيس وكان الناس يعتقدون أن ذلك الكاهن له علاقة خاصة بالمسيح عن طريق تلك الطقوس أو أنها تقربه اليه(كانتور، 1997، ص 58-59).

وقبل انصار الامبراطورية الرومانية بالكنيسة التي نقلت إلى أهدافها الدينية الكثير من التراث الروماني في النظام السياسي والقانوني وفتح المجال أمام القيادة الروحية للبابا الروماني من قبل القيادة العلمانية، وقد تلقب البابا بلقب الكاهن الاعظم، وبدأت سلطة حكام الاقاليم والموظفين الرسميين تختفي وبرزت السلطة الدينية(هليستر، 1986، ص 31).

وأمرت السلطة الدينية بتقسيم المناطق إلى اسقفيات يتولى أمرها الاساقفة والاسقفيات إلى البراشيات يتولى امرها كاهن الابراشية او القس، وكانت الابرشيات مجتمعة تكون الاسقفية واتحاد الاسقفيات تؤلف كنيسة المنطقة التي يرأسها المطران وفوق المطران نجد البطاركة وكانوا في

Vol 12, Issue 41, Aug 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

العواصم الكبرى مثل: القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية وروما والقدس, وكانت روما تعلو تلك الكراسي الرسولية بدرجة واحدة، وكان من الواضح أن التنظيم الكنسي لم يتم دفعة واحدة بل على عدة مراحل وضعت اثنائها سلطات واسعة ودقيقة بالقرنين الخامس والسادس في ظل حكم ملوك برابرة، واحتفظ الاساقفة بنفوذهم الذي اكتسبوه في ظل الامبراطورية الرومانية وكثير من المدن التي حافظوا عليها من الدمار اثناء الغزو وذلك بعلاقاتهم مع الزعماء الجرمان(عمران، 1986، ص155؛ حاطوم، 1982، ص 66).

المبحث الثالث: منصب البابا

اولا: نشأة المنصب:

لم تكن السلطة الدينية والدنيوية موجودة كسلطتين في العصور الوسطى بل كانت هناك الكنيسة والدولة بصف واحد، ولم يكن هناك سوى مجتمع واحد هو المجتمع المسيحي، ونجد البابوية في العصور الوسطى قد جمعت شمل الكنيسة الغربية واصحبت ادارتها تحت الزعامة البابوية واصبح البابا على رأس الكنيسة الكاثوليكية والحارس الاول على قوانينها ونظمها وعقائدها، فضلا عن أن البابا نائب للمسيح في الكرسي الأسقفي في روما والأخير هو زعيم الحواريين ومقدم الرسل الذي اتخذه المسيح أساسا بنى عليه كنيسته(عاشور، 1959، ص 1).

ولم تكن هناك مدينة تنافس روما في اهميتها الواقعية وعظمتها التاريخية المرتبطة بفكرة الامبراطورية نفسها التي يتزعمها غياب الامبراطور، فضلا عن الصعيد الديني ووجود مدفني القديس بطرس وبولس، كل تلك الدلائل أدت إلى أنه لم يكن لأحد أن ينكر أولوية البابا الشرقية فقد اعترف به مجمع نيقيا والمجامع الدينية الأخرى(اوبرايه، 1986، ص 622-623).

لذا نرى أن البابا هو خليفة القديس بطرس وهو على رأس الإنجاز السياسي حتى عده المعاصرون ملك الملوك وأمير الأمراء، وكان لسقوط الإمبراطورية الرومانية اثر كبير في بروز دور البابوية، وقد عمل البابا جريجوري الاول العظيم590-604، على تقوية نفوذ البابوية السياسي(عاشور، 1959، ص 2)، وقد برزت عدة عوامل ساعدت على بروز زعامة البابوية وظهور منصب البابوية نوجزها بما يأتي:

1- تأتي أهمية الأسقف من الأهمية السياسية والاقتصادية والتاريخية للمدينة التي يقوم فيها كرسيه الأسقفي.
2- ارتبطت مدينة روما ارتباطا ابديا بذكرى رسول المسيح القديس بطرس الذي أسس لكنيسة مسيحية في روما الحامل بعد تفويض المسيح له بذلك.

3- 3- التجاء عدد من الأساقفة إلى أسقف روما لاستئناف الاحكام القضائية التي صدرت بحقهم من المجاميع الدينية الإقليمية جعل اسقف روما بمثابة السيد الأعلى.

4- وقوف اباطرة روما إلى جانب البابا ومساندته.

5- سقوط عرش روما الامبراطوري عام 476، جعل مركز البابوية والبابا بشكل خاص بأنه السيد السياسي الوحيد في الغرب الأوربي(عاشور، 1959، ص 2).

6- وقوف الكنيسة بوجه القوة البربرية التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية في حقبة سقوطها وما تبعها في اثناء تلك الحقبة، فقد اصبح كرسي البابوية كأنه المنارة المنيرة في ذلك الظلام الدامس.

7- تعاقب عدة شخصيات على الكرسي البابوي اسهم في بروز البابوية وتحقيق سيادتها السياسية والدينية فى الغرب الأوربي.

8- نقل العاصمة الامبراطورية من روما إلى القسطنطينية ادى إلى بروز البابوية كقوة سياسية ودينية في الغرب الاوربي.

9- انقسام الكنائس في الشرق ونشوب الخلاف بينهم أدى إلي بروز البابوية(عاشور، 1959، ص 2).

10- انتصار البابوية في أواخر القرن الثامن انتصارا عقائديا في نضالها ضد سياسة منع تقديم الايقونات.

11- واخيرا الممتلكات الواسعة التي امتلكتها البابوية في ايطاليا هيأت لها دخلا كبيرا جعلها في غنى عن مساعدة الحكام العلمانيين (فرح، 1999-2000، ص 184-188).

ثانيا: انتخاب البابا

كانت لانهيار الامبراطورية الكارولنجية اثار خطيرة على البابوية، إذ فقدت البابوية حلفاء أقوياء كانوا يدرؤون الاخطار عنها من الفايكنك والمجريين، وادى ذلك إلى تسلط العلمانيين والامراء الاقطاعيين وتسلط العلمانيين على الكنيسة، كل تلك الأمور ادت إلي تفشي ثلاثة أمراض خطيرة على الجهاز الكنيسي هي: (السيمونية، وزواج رجال الدين، والتقليد العلماني)، إذ إن الأول هو بيع المناصب الدينية، والثاني كانت التعاليم المسيحية تحرم زواج رجل الدين، والثالث يقوم الحاكم المدني او العلماني بتعيين رجال الدين والمناصب الحكومية، كل تلك الظواهر ادت إلى قيام حركة الإصلاح التي قام بها عدد من البابوات والاساقفة وعملوا على إصلاح الكنيسة وسموا بالمصلحين وعمد هؤلاء المصلحين على وضع نظام ثابت ودائم لعملية انتخاب البابا، ويتم ذلك الانتخاب عن طريق مجلس الكرادلة، إذ يجتمع الكرادلة بعد وفاة كل بابا

Vol 12, Issue 41, Aug 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

ويقومون بانتخاب خليفة له وإذا ما تعرض الكرادلة إلى أي ضغط خارجي فإن الانتخاب يعد باطلا، وفي عام 1059 دعا البابا نيقولا الثاني، الى عقد مجمع روما والهدف منه هو تنظيم مسألة انتخاب البابا وتقرر كذلك أن يكون للكرادلة وحدهم الحق في انتخاب البابا، وأن يتم اختيار البابا من بين رجال الدين في روما نفسها، وإن تعذر اجراء عملية الانتخاب في روما يجوز اجراء الانتخابات في اي مكان على أن لا يشرف على الانتخابات الاساقفة المتزوجون(سيد، 2008، ص 50-52).

وهنا نرى أن الكنيسة قد جعلت البابا على رأس السلطة وهو المسيطر على رجال الدين، ويأتي بعده الكرادلة الذين حدد مهامهم دستور 1059، في عهد البابا نيقولا الثاني، ويبدو أن هؤلاء الكرادلة هم مجموعة مختارة من كبار الأساقفة كانت مهمتهم في البداية هي استشارية ثم اخذ نفوذهم يزداد؛ نتيجة لكثرة مهامهم واختصاصاتهم، إذ اصبح البابا بمثابة الملك في بلاطه بروما والكرادلة بمثابة الامراء(عاشور، 1959، ص 19).

الخاتمة:

1- إن الديانة المسيحية كانت ديانة شرقية وقد نزلت في فلسطين وهي مدينة عربية.

2-لم تكن تلك الديانة بمعزل عن الديانات الاخرى وبداياتها لم تعادي اي ديانة بل على العكس كانت تحاول أن لا تعارض مبادئ الديانة اليهودية.

3- إن المناصب الادارية والدينية لم تكن بمعزل عن بعضها البعض، وكانت هناك روابط مشتركة وأهمها: خدمة المجتمع المسيحي.

4- تدخل المسيحية والبابوية بشؤون السياسة بدأ في وقت مبكر بعد انهيار الامبراطورية الرومانية في محاولة لملء الفراغ السياسي.

5- برز منصب البابا بشكل جلي وصريح في القرن الرابع للميلاد.

قائمة المصادر والمراجع:

References:

- المصادر العربية والمعربة

1. اوبرايه, اندريه أيماروجانيين. (1986). تاريخ حضارات العالم روما وامبراطورياتها. (ترجمة فريدم داغر وفؤاد دبورجان). (مج2). دار منشورات عويدان. بيروت وباريس.
2. رستم، اسد. (1955). الروم في سياستهم وحضارتهم وديانتهم وصلاتهم بالعرب. (ط1. ج1). دار المكشوف. بيروت.
3. سيد, اشرف صالح محمد.(2008). قراءة في تاريخ وحضارة اوربا في العصور الوسطى. (ط1)، الكتاب العربي. لبنان.
4. تشارلزورث، (د.ت). الامبراطورية الرومانية. (ترجمة: ومزي عبده جرجس). الهيئة المصرية العامة الكتاب. القاهرة.
5. كانتور، تومان ق. (1997). التاريخ الوسط قصة حضارة البداية والنهاية. (ترجمة: قاسم عبده قاسم). (ط5، قسم1). عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية. الهرم.
6. براون، جفري. (2006). تاريخ اوربا الحديث. (ترجمة: على المرزوقي). (ط1). الاهلية للنشر. بيروت.
7. عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1959). اوربا العصور الوسطى النظم والحضارة. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
8. _____.(1976). تاريخ اوربا في العصور الوسطى. دار النهضة العربية. بيروت.
9. جينر، شارل. (د.ت). المسيحية نشأتها وتطورها. (ترجمة: عبد الحليم محمود). المكتبة العصرية. بيروت.
10. كرستوفردوسن.(1967). تكوين أوربا. (ترجمة: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور). مؤسسة سجل العرب. القاهرة.
11. شيني، ل.ج. (د.ت). تاريخ العالم العربي.(ترجمة: مجد الدين حقي ناصف). دار النهضة العربية. القاهرة.
12. عمران، محمود سعيد. (1986). معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى. دار المعرفة الجامعية. الازرباطية.
13. _____. (1998). حضارة اوربا في العصور الوسطى. دار المعرفة الجامعة. الازرباطية.
14. الحويري، محمود محمد. (1995). رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية. (ط3). دار المعارف. القاهرة.
15. فرح، نعيم. (1999-2000). الحضارة الأوربية في العصور الوسطى. (ط2). منشور الجامعة. دمشق.
16. حاطوم، نور الدين.(1982). تاريخ العصر الوسيط في اوربا. (ج1) دار الفكرة. دمشق.

17. وليز، هـ . ج .(١٩٨٥). موجز تاريخ العالم. (ترجمة: عبد العزيز توفق جاويدة). مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
18. _____. (1994). معالم تاريخ الإنسانية، (ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد). (ط4. مج3). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
19. ديوارت، ول وابزيل. (د.ت). قصة الحضارة. (ترجمة: محمد بدران). (ج3.مج3). دار الجبل. بيروت.
20. هليستر، يس. ورن. (1986). اوربا في العصور الوسطى. (ترجمة: محمد فتحي الشاعر). مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

List of Sources:

Arabic and Arabized Sources

1. Aubrey, André Aimaroujanin. (1986). History of World Civilizations: Rome and its Empires. (Translated by Frederic Dagher and Fouad Debourjan). (Vol. 2). Owaidan Publications House, Beirut and Paris.
2. Rustum, Asad. (1955). The Romans in their Politics, Civilization, Religion, and Relations with the Arabs. (1st ed., Vol. 1). Dar Al-Makshuf, Beirut.
3. Sayyid, Ashraf Saleh Muhammad. (2008). A Reading in the History and Civilization of Europe in the Middle Ages. (1st ed.), Al-Kitab Al-Arabi, Lebanon.
4. Charlesworth, (n.d.). The Roman Empire. (Translated by Wamzi Abdo Girgis). The Egyptian General Book Authority, Cairo.
5. Cantor, Toman Q. (1997). Medieval History: The Story of a Civilization: The Beginning and the End. (Translated by: Qasim Abdo Qasim). (5th ed., Part 1). Ain for Human and Social Studies and Research, Al-Haram.
6. Brown, Jeffrey. (2006). Modern European History. (Translated by: Ali Al-Marzouqi). (1st ed.). Al-Ahlia Publishing. Beirut.
7. Ashour, Saeed Abdel Fattah. (1959). Medieval Europe: Systems and Civilization. Egyptian Renaissance Library, Cairo.
8. _____. (1976). History of Europe in the Middle Ages. Arab Renaissance House, Beirut.
9. Jenner, Charles. (n.d.). Christianity: Its Origins and Development. (Translated by: Abdel Halim Mahmoud). Modern Library, Beirut.
10. Christopher Dawson. (1967). The Formation of Europe. (Translated by: Muhammad Mustafa Ziyada and Saeed Abdel Fattah Ashour). Arab Record Foundation, Cairo.
11. Sheeny, L.J. (n.d.). History of the Arab World. (Translated by: Majd al-Din Haqqi Nasif). Dar al-Nahda al-Arabiya. Cairo.
12. Omran, Mahmoud Saeed (1986). Landmarks in the History of Europe in the Middle Ages. Dar al-Ma'rifah al-Jami'ah. Azrabatiya.
13. _____ (1998). European Civilization in the Middle Ages. Dar al-Ma'rifah al-Jami'ah. Azrabatiya.
14. Al-Huwairi, Mahmoud Muhammad (1995). A Vision of the Fall of the Roman Empire. (3rd ed.). Dar al-Ma'arif. Cairo.
15. Farah, Na'im (1999-2000). European Civilization in the Middle Ages. (2nd ed.). University Press. Damascus.

Vol 12, Issue 41, Aug 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

16. Hatoum, Nour al-Din (1982). History of the Middle Ages in Europe. (Vol. 1). Dar al-Fikrah. Damascus.
17. Welles, H. J. (1985). A Brief History of the World. (Translated by: Abdel Aziz Tawfiq Jawida). Egyptian Renaissance Library. Cairo.
18. _____. (1994). Landmarks in Human History (Translated by: Abdel Aziz Tawfiq Jawida). (4th ed., Vol. 3). Egyptian General Book Organization. Cairo.
19. Duart, Will Wabzel. (n.d.). The Story of Civilization (Translated by: Mohamed Badran). (Vol. 3, Vol. 3). Dar Al-Jabal, Beirut.
20. Hellister, Y. Wren. (1986). Europe in the Middle Ages (Translated by: Mohamed Fathi Al-Shaer). Anglo-Egyptian Library. Cairo.